167124 ـ كيف نفسِّر وجود طائفة من الخلق وُلدوا مسلمِين وآخرين يبذلون الجهد ليحققوا ذلك ؟

السؤال

مرَّت بي أوقات عصيبة بخصوص إسلامي بسبب والديَّ ؛ لأنهما مختلفان دينيّاً وثقافيّاً ، وهما مطلَّقان ، سؤالي هو : لماذا يكافح بعض الناس للحصول على معرفة بالإسلام وآخرون أتى حظهم أنهم مسلمون ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً:

مما لا شك فيه أن أعظم نعمة ينعمها الله على عباده أن يولد لأبوين مسلمين ، ويعيش مسلماً ، ويموت مسلماً ، وهذا من فضل الله تعالى حيث لم يحتج أن يبحث ذلك المُنعم عليه بين الأديان ليتعرف على الدين الصحيح الذي يحبه الله ويرضاه ولا يرضى غيره ، وليس للعبد هذا كسب في هذا الفضل بل هي منَّة خالصة من الله تعالى ربِّه .

ولا يعني هذا أن كل من وُلد لأبوين مسلمين أنه عرف قدر هذه النعمة وعمل على شكرها ، بل رأينا الكثير الكثير ممن كفر هذه النعمة ولم يستفد شيئا من كونه فتح عينيه على الدنيا ليرى الإسلام والمسجد وفتح أذنيه على سماع كلمة التوحيد ، ولذا انحرف هؤلاء إلى طرق الضلالة والغي والغواية والكفر ، ولم يكونوا مسلمين إلا بأسمائهم ، وقد كان بعض الباحثين عن الدين الحق أفضل منهم – ولا تصح المقارنة أصلاً – حيث عرف أن الإسلام هو دين الله تعالى الذي لا يرضى من عباده غيره ، فقرأ وتأمل حتى دخل في هذا الدين باقتناع والتزم أحكامه بقوة .

لذا – أخي السائل – ليس الأمر إلا مزيد فضل من الله تعالى على من شاء من عباده أن يولَدوا مسلمين ، ولم يظلم الآخرين حيث بيَّن لهم طريق الحق والضلال ، ووضح لهم سبيله المستقيم وأمرهم بالسير عليه ، وسبل الشيطان الأخرى وحذَّرهم من سلوكها ، وها أنت ترى من وُلد لأبوين مسلمين وانحرف إلى الضلال ، وترى من وُلد لأبوين كافر فاستقام على الهدى .

ومن الأمثلة الواضحة في هذا الباب ترفع عنك الإشكال ما تعلمه من حال بعض المرسلين في دعوتهم والاستجابة لها ، فها هو نوح عليه السلام ؛ أي شيء استفاده ابنه وزوجته منه وهو النبي المرسل الذي دعاهما الليل والنهار فلم يستجيبا وماتا على الكفر ؟! وأي شيء استفاده والد إبراهيم – عليه السلام – من ابنه الذي ما فتئ يدعوه وينصحه ويعظه ، وهو يأبى ذلك بل ساهم في إلقائه في النار ؟! وأي شيء استفادته امرأة لوط وهي زوجة نبي مرسل يدعوها إلى الحق وتأبى إلا الكفر ؟! وفي الوقت نفسه ها هو فرعون من كبار طواغيت الأرض وها هي زوجته تعلن إسلامها وتكفر بزوجها ، وهكذا هي حال البشر إما أن يُنعم الله على بعضهم بنعمة الإسلام فيشكرها ويعمل بمقتضاها ، وإما أن يُحرم من هذه النعمة لكنه يبحث بجد واجتهاد ليصل إلى

الحق الذي أنزله الله تعالى وأمر عباده بسلوك طريقه ، وعلى كلا الطرفين أن يلهج دوماً بقوله (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ) الأعراف/ 43 ، ويقول – كما كان يقول أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ـ :

والله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا .

وبحسب من كان على دين سابق ، آمن به وتبع فيه نبيه ، ثم هداه الله تعالى إلى نور الإسلام ، وآمن بخاتم النبيين ، بحسبه من ذلك كله بشارة النبي صلى الله عليه وسلم له :

روى البخاري (3011) ومسلم (154) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ : الرَّجُلُ تَكُونُ لَهُ الْأَمَةُ فَيُعَلِّمُهَا فَيُحْسِنُ تَعْلِيمَهَا وَيُؤَدِّبُهَا فَيُحْسِنُ أَدَبَهَا ثُمَّ يُعْتِقُهَا فَيَتَزَوَّجُهَا فَلَهُ أَجْرَانِ ، وَمُؤْمِنُ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِي كَانَ مُؤْمِنًا ثُمَّ آمَنَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَهُ أَجْرَانِ ، وَالْعَبْدُ الَّذِي يُؤَدِّي حَقَّ اللَّهِ وَيَنْصَحُ لِسَيِّدِهِ) .

وانظر أجوبة الأسئلة (11783) و (150930) .

ثانياً:

أما بخصوص ما هو واقع بين والديك من اختلاف في الثقافة والدين فهو نفسه الاختلاف الواقع بين أفراد البشر ، وما حصل بينهما من طلاق أمر يتكرر كثيرا ، لا سيما مع تكرر المشاكل ، واستحكام الخلاف بينهما .

والذي ننصحك به أن تكون همتك وعنايتك ، أول ما تكون : في تعريفهما بدين الإسلام ، ودعوتهما إليه ؛ فإذا من الله عليك ، وهداهما : فإن اجتماعهما سوف يكون وشيكا مرجوا ، إن شاء الله . وإذا قدر أنهما قد بقيا على فرقتهما ، فقد ربحا دين الحق، وضمنا النجاة من عذاب الله.

بل إن هذا الأمر هو من أعظم حقوقهما عليك : أن تجعلهما يشاركانك النعمة التي أنت فيها ، نعمة الإسلام لله رب العالمين ، وعبادته وحده لا شريك له ؛ فلا تتوان في الأمر ، فهو مهمة جليلة وسترى آثارها الطيبة بإذن الله في الدنيا قبل الآخرة ، واستعن على ذلك بالدعاء لهما مع بذل الأسباب الحسية لتلك المهمة ، ويمكنك الاستفادة من أهل الخبرة في بلدك لتحقيق ذلك الأمر ، ونسأل الله تعالى أن يسددك وأن يوفقك وأن يتقبل منك صالح عملك وأن يهدي والديك لما فيه سعادتهما دنيا وآخرة .

والله أعلم